

أضواء البيان

. @ 145

وتقدم الكلام عليه هناك . .

وتقدم للشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه بيان معنى { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } ، عند قوله تعالى : { مِّنْ وَرَثَتِهِمْ جَاهَنَّمُ وَلَا يَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } . .

وساق كل النصوص في هذا المعنى بتمامها . .

تنبيه .

في هذه الآية سؤالان هما : .

أولاً : لقد كان صلى الله عليه وسلم مع قومه في مكة ملاطفاً حليماً ، فكيف جابه عمه بهذا الدعاء : { تَبَيَّنَتْ يَدَايَ إِلَىٰ لَهَبٍ } ؟ والجواب : أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم ، فلما يئس من ذلك ، كان هذا الدعاء في محله ، كما وقع من إبراهيم عليه السلام ، كان يلاطف أياه { يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ } . { يَا أَبَتِ إِنَّنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا } ، فلما يئس منه تبرأ منه كما قال تعالى : { فَلَمَّ مَسَّ تَبَيَّنَ لَّهُ أَن زَوْهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } . .

والسؤال الثاني : وهو مجيء قوله تعالى : { وَتَبَّ } ، بعد قوله : { تَبَيَّنَتْ يَدَايَ إِلَىٰ لَهَبٍ } ، مع أنها كافية سواء كانت إنشاء للدعاء عليه أو إخباراً بوقوع ذلك منه . .

والجواب ، والله تعالى أعلم : أن الأول لما كان محتملاً الخبر ، وقد يمحوا ما يشاء ويثبت ، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله : { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ } ، أو يحمل على الذم فقط ، والتفبيح فجاء (وتب) لبيان أنه واقع به لا محالة ، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك ليأس صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون من إسلامه . وتنقطع الملاطفة معه ، والله تعالى أعلم . .

وقد وقع ما أخبر الله به ، فهو من إعجاز القرآن أن وقع ما أخبر به ، كما أخبر ولم يتخلف . .

{ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } ، وقوله : { كَذَلِكَ حَقَّتْ

